المحاضرة (الحادية عشرة)

ثانيًا : (العارض وأثره في إنتاج الأصوات و مقدار الاعتراض)

إن مرور النفس من خلال الوترين الصوتيين في الحنجرة لا يؤدي وحده إلى إنتاج أصوات لغوية ، وإن ما يحدث في الوترين من جهر أو همس ما هو إلا جزء من عملية مركبة من عدد من أنشطة تشترك فيها أعضاء آلة النطق التي تقع فوق الحنجرة لإنتاج الصوت اللغوي ، وهذه الأنشطة هي التي تعطي الصوت جرسه الخاص به وصفاته التي تميزه .

إن النقطة التي تعترض فيها أعضاء آلة النطق النَّفَس بعد أن يجتاز الوترين الصوتيين تسمى المخرج ، وهناك عدة مواضع في آلة النطق يمكن أن يحدث فيها اعتراض للنَّفَس يؤدي إلى إنتاج أصوات لغوية ، وذلك على النحو الآتي :

١. يمكن أ ، يحدث اعتراض النفس في الحنجرة ، فإذا قَفَل الوتران مجرى النفس لحظة ثم أطلقاه حدثت الهمزة ، على نحو ما أشرنا إلى ذلك في الفترة السابقة ، وإذا انفتح الوتران واندفع الهواء خلالهما في ممر ضيق حدث صوت الهاء .

٢. وإذا تقارب جانبا التجويف الحلقي حدث عدد من الأصوات ، فلدينا في اللغة العربية صوتان يخرجان من وسط منطقة التجويف الحلقي وهما الحاء والعين ، والفرق الرئيسي بينهما أن الحاء مهموس والعين مجهور . ويحدث في أعلى منطقة الحلق صوتان آخران هما الخاء والغين ، والخاء مهموس والغين مجهور .

٣. إن النَّفَس بعد مروره خلال الحنجرة وتجاوزه التجويف الحلقي يمكن أن يتخذ مجراه في التجويف الفموي أو في التجويف الأنفي ، فإذا انخفضت اللهاة وما حولها من الحنك اللين انفتح مجرى النفس إلى التجويف الأنفي ، فإذا حصل اعتراض للنفس في بعض أجزاء الفم جرى النفس من الأنف ، وسُمِّيَ الصوت حينئذ أنفياً ، وذلك مثل صوت النون والميم ، ففي صوت النون يستند طرف اللسان على اللثة وأصول الثنايا العليا فَيَسُدُّ مجرى النفس في الفم ويجري من الأنف ،وكذلك تنطبق الشفتان عند نطق الميم ، ويخرج النفس من الأنف . والذي فرَّق بين الصوتين هو اختلال آلة النطق في الفم فيؤدي ذلك إلى تباين شكل الفراغ الرنان الذي يعطي لكل من النون والميم جرسه المميز له .

٤. وإذا ارتفعت اللهاة وما يتصل بها من الحنك اللين ولامست أعلى الجدار الخلفي انسد مجرى النفَس من الأنف ، وجرى من الفم ، ويمكن أن تعترض أعضاء آلة النطق النفس في الفم في نقاط كثيرة ، ويؤدي ذلك إلى إنتاج عدد كبير من الأصوات .

فمن أقصى اللسان مع ما يقابله من اللهاة وأقصى الحنك يخرج القاف والكاف . ومن وسط اللسان مع ما يقابله من وسط الحنك يخرج الجيم والياء والشين . ومن طرف اللسان حين يلامس مقدم الحنك أو الأسنان يخرج اللام والراء والنون ، والتاء والدال والطاء والضاد (الحديثة) والسين والزاي والصاد ، والثاء والذال والظاء ، وتقسم هذه الأصوات

إلى مجموعات بحسب الجزء الذي يلتقي به طرف اللسان من الحنك الأعلى . ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا تخرج الفاء . ومن بين الشفتين تخرج الباء والواو ، وتنطبق الشفتان عند نطق الميم .

ثالثًا: مقدار الاعتراض وأثره في نطق الأصوات :

إن طريقة اعتراض أعضاء آلة النطق النفسَ في النقاط التي ذكرناها في الفقرة السابقة ، ودرجة الاعتراض ومقداره ، تؤثر في تنوع الأصوات وتمايزها ، وذلك على النحو الآتي :

١.قد يكون اعتراض أعضاء آلة النطق للنفس في مخرج الصوت كاملاً ، بحيث يؤدي التقاء عضوين من تلك الأعضاء إلى قفل مجرى النفَس ، فينحصر الهواء لحظة ، ثم ينفتح العضوان فجأة ، فيُحْدِث الهواء المحبوس خلف العضوين صوتاً شديداً ، يشبه الانفجار ، وقد سَمَّى المتقدمون من علماء العربية وعلماء التجويد هذا النوع من الأصوات شديداً ، وسماه كثير من دارسي أصوات العربية المحدثين انفجارياً . ومن أمثلة هذه الأصوات في العربية : ق ، ك ، د ، ت ، ط ، ب .

٢.وقد يكون اعتراض أعضاء آلة النطق للنفس في مخرج الصوت غير كامل ، بحيث يظل بين العضوين منفذ ضيق يتسرب منه الهواء فيحدث الصوت من احتكاك الهواء في ذلك المنفذ الضيق في أثناء تسربه للخارج. وتتفاوت الأصوات التي تتكون بهذه الطريقة في مقدار التضييق للمجرى وفي موضعه ، وهذا التفاوت هو الأساس في اختلافها في السمع . وسَمَّى المتقدمون هذا النوع من الأصوات بالأصوات الرخوة ، بينما سماها كثير من المحدثين بالأصوات الاحتكاكية . ومن أمثلتها في العربية : هـ ، ح ، خ ، غ ، ش ، س ، ز ، ث ، ذ .

٣.وهناك مجموعة من الأصوات يحدث في أثناء إنتاجها اعتراض لمجرى النفَس لكنه يتسرب من موضع آخر من آلة النطق ، فهي تبدو شديدة (انفجارية) في مبدئها ، رخوة (احتكاكية) في منتهاها ، ويحدث ذلك في إنتاج صوت النون والميم واللام والراء خاصة ، فالنون والميم ينسد مجرى النفس معهما في الفم أو الشفتين ، لكنه ينفتح من الخيشوم ، فيخرج الصوت من الأنف . واللام يعترض اللسان في انتاجها في مجرى النفس باستناد طرفه على اللثة ، ثم إطلاقه بسرعة ، وتكرار ذلك مرتين أو ثلاث مرتين . ومن ثم سميت هذه الأصوات بالمتوسطة ، أي هي بين الشديدة والرخوة .

٤.وإذا اشترك طرف اللسان في إنتاج الأصوات ، سواء كانت شديدة أم رخوة ، فإن أقصى اللسان قد يتصعد نحو أقصى الحنك ، فتحدث من ذلك أصوات غير التي تحدث وأقصى اللسان منخفض . فأنت إذا نطقت صوت الذال على نحو متصل [ذ ذ ذ الخ] ثم حاولت أن تجعل أقصى اللسان يتصعد فإن ذلك سيؤدي إلى سماع صوت جديد هو الظاء . ويمكن تكرار هذا المقطع الصوتي [ذ ظ ذ ظ] حتى تدرك ما يحدث لشكل اللسان من تغيير . وسمى علماء العربية تصعد أقصى اللسان عند اشتراك طرفه في إنتاج صوت ما بالإطباق ، وسموا الصوت مطبقاً ، ويقابله الانفتاح . والأصوات الأخرى المطبقة في العربية حسب النطق المعاصر هي الصاد ومقابله المنفتح السين ، والطاء ويقابله التاء ، والضاد ويقابله الدال .

٥.وهناك مجموعة من الأصوات لا يحدث في أثناء إنتاجها إلا اعتراض محدود على مجرى النفس ، فيمر الهواء حراً طليقاً خلال الحلق والفم ، ولا يصاحبه إلا أدنى تضييق ، ويحدث هذا في نطق ما سماه علماء العربية بأصوات اللين والمد الثلاثة : الألف والواو والياء ، وتتميز الألف بانفتاح الفم عند نطقها ، والواو باستدارة الشفتين ، والياء بتصعد يسير في مقدم اللسان نحو الحنك . والحركات الثلاث : الفتحة والضمة والكسرة شأنها شأن أصوات المد الثلاثة ، لأن الفتحة من الألف والضمة من الواو والكسرة من الياء ، وإنما فرَّق بينهما الطول والقصر . وهذه الأصوات جميعها مجهورة ، ولولا الجهر لصارت أقرب إلى النفس المجرد غير المسموع .

ولعل القارئ يدرك من خلال العرض السابق لكيفية إنتاج الأصوات اللغوية أن إنتاج الصوت الواحد يتطلب عدداً من حركات أعضاء آلة النطق ، لأن عملية التصويت عملية مركبة تتجمع عناصرها من خلال حركة أكثر من عضو من تلك الأعضاء . ولكي نحدد كيفية إنتاج صوت ما علينا أن نحدد النقطة التي يتم إنتاجه فيها أولاً ، ثم معرفة كيفية مرور النفس في تلك النقطة ثانياً ، ثم معرفة حالة الوترين الصوتيين في أثناء إنتاج الصوت ثالثاً. وقد تشارك عوامل أخرى في إعطاء الصوت جرسه المميز له عن غيره . ويحرص علماء الأصوات على الرغم من ذلك التنوع في عملية إنتاج الأصوات على تصنيفها إلى مجموعات مستندين في ذلك على ما يوجد بينها من تشابه في عدد من الجوانب ، وذلك لتسهل دراستها والوقوف على خصائصها ، وهو ما سنعرضه في المبحث الآتي بعد هذا ، إن شاء الله .

والله الموفق